سلاّم الترجمان

دراما في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الواثق بالله ـ الخليفة العباسي	المعتصم ـ كبير الأدلاء
سلاّم الترجمان	ملك الخزر
ابن حرب ـ كاتم سرّه	جارية السمكة

المنظر الاول

في قصر الواثق بالله بمدينة (سر من رأى ـ Samarra) سنة ٨٤٤ م. وقد جلس هذا الخليفة العباسي يضرب على العود ويغني، وفي حضرته سلام الترجمان وابن حرب.

الخليفة الواثق (ينشد على توقيع العود): —

هل تعلمين وراء الحب منزلةً ... تدني إليك فإن الحبَّ أقصاني.
هذا كتابُ فتى طالت بليّتهُ ... يقولُ يا مشتكي بثي وأحزاني

(ثم يتوقف عن الانشاد ويضع العود)

ما رأيك في هذا الصوت يا سلام. أطنه بكل المائة التي صنعتها.

سلاّم — آية في الجمال يا مولاي.

الخليفة الواثق — ولكني لم أدعك ثم ابن حرب لأجل هذا يا سلام، بل لأمر جدّ خطير.

سلاّم وابن حرب ـ خيراً، إن شاء الله.

الخليفة الواثق ـ سأوفدك يا سلام في مهمة جليلة، على أن يكون ابن حرب كاتم سرك.

سلام ـ كاتم سري يا مولاي. لا أعرف أحداً فطنه في مثل ابن حرب، بل لا أعرف

أحداً تفنن في اختراع الفضائح لي وتزويد امرأتي بها مثله ، وكل عالته يا مولاي أنها قريبته .

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق ـ وما دفاعك عن نفسك يا ابن حرب ؟

ابن حرب ـ حاولت اصلاحه يا مولاي لخيره وخير عيلته

سلام (مخجلاً مغاظاً) ـ إصلاحي . هل انقلبت الأوضاع ؟

ابن حرب ـ وجدته يا مولاي في زقاق الأعرج مخموراً وقد أيقظ الناس بصياحه فصبّت امرأة من شباك ماء على رأسه .

سلام (محجا مغاظا) ـ سبحان الله سبحان الله

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ما شاء الله . أتم يا أيها الواعظ .

ابن حرب ـ ألتمس من مولاي أن لا يصغي إليه . إنه يهذي .

الخليفة الواثق ـ لا جناح عليه ولا عليك إذا أملت التوبة . أكمل حديثك يا ابن حرب .

ابن حرب ـ فلما أدركته يا مولاي تشبث بملابسي فسقطنا معاً في الوحل . ولما سألته عن حاله قال إنه كان يصلي الفجر ، وان ملابسه ابتلت من كثرة الوضوء .

الخليفة الواثق ـ (مغاظا) ها ! ها ها ! لعله كان يتوضأ فوق ملابسه . ها ! ها ! ها !

ابن حرب . . وسرت به نحو منزله وهو يترنح ويسبّ إمام المسجد ، فاذا إمام المسجد المزعوم هو صاحب الخمارة التي مررنا بها في طريقنا .

الخليفة الواثق (مغاظاً) ـ ها ! ها ! ها ! تبارك الله تعالى

ابن حرب ـ فلما سألت صاحب الخمارة عما حدث ، قال إنه نهاه عن الاسراف في الشرب فلم يرتدع ، وتمادى فأصرّ على أن يؤمّ جميع الحاضرين صلاة الفجر في الخمارة متوضئين بالخمر ، وأن يكون هو إمامهم ، وأخذ يصيح بالدعوة الى تقوى الله

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق (مغاظاً ، متهكماً) ـ نعمت التقوى

ابن حرب ـ وأخيراً اعترف صاحب الخارة بأنه اضطر الى ان يلقي به وبعربيد آخر ادّعى انه من أولياء الله الصالحين خارج الخيمة

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ! ها ! لقد كنت انسى المهمة الخطيرة التي دعوتكما لها ، ولكني اريد قبل التحدث عنها ان اسألك يا ابن حرب ماذا كنت تصنع في زقاق الأمرج عند الفجر ، وعليك ان تصدقني القول وقد امنتكما

ابن حرب ـ كنت يا مولاي قادماً من خمارة اخرى

الخليفة الواثق (مقاطعا) ـ ها ! ها ! ها

ابن حرب ـ ولكني يا مولاي لم اكن مخموراً مثله ، ولو ان امرأتي رفضت إدخالي البيت بعد ان تطلعت في وجهي وزعمت انى شخص آخر

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! حرام ان اردبكما بعد ان امنتكما ، فلأدع ذلك للزمن ، والآن أنصتا جيداً الى ما عندي

لقد رأيت في المنام ان السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين مفتوح ، وهذا السد كما تعلمان واقع بين ديار المسلمين وديار يأجوج ومأجوج ، فاستيقظت مذعوراً وبعد التروي ارسلت في طلبكما الليلة وقد اعتزمت ان ابعث بك يا سلام ، يعاونك ابن حرب ، لتفقد هذا السد

سلاّم ـ سيجدني مولاي عند حسن ظنه بي دائماً .

ابن حرب (وجلا) ـ يا مولاي . إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي . وهل يرضيك أن تتركني تحت رحمة سلام وبنفسه ما بها ضدي . لا وبب عندي الله سيبارك أمة يأجوج ومأجوج إذا ما قطعوني إرباً إرباً وأكلوني . ومن يدري فقد يستمرىء طعم لحمي .

سلام ـ والعياذ بالله .

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! اني أعهد فيك الشجاعة دائماً يا ابن حرب .

سلام ـ وأنا كذلك .

ابن حرب ـ أسمعت يا مولاي انه فرحان لهذه المصيبة التي تنتظرني . أما الشجاعة . الشجاعة يا مولاي قد تنازلت عنها عندما حطمت امرأتي الابريق فوق رأسي في تلك

الليلة المباركة — ليلة القدر .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! لا ريب أنها كانت لك خيراً من ألف شهر .

ابن حرب — لا تعجب يا مولاي اذا كنت ذكرت لتلك الرؤيا ، فاسم يأجوج ومأجوج من أسماء الجن التي تحاشى الله سبحانه وتعالى ، رحمة بعباده ، ذكرها في كتابه الكريم .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! المتن يا ابن حرب فلن يقل عددكم عن خمسين رجلاً ، ومعكم مئتا بغل لحمل الزاد والماء ، وسأعطي سلاماً كتاباً الى حاكم أرمينية ليقضي حوائجكم ويسهل مهمتكم .

ابن حرب — افعل استودعك الله يا مولاي ، فلا أمل لي في رؤيتك ثانية ، ما دمت ستطرحني بين ثلاثة أعداء أشداء من الكواسر :

ولو كان يأجوج لكنت أتقيته ولكنه مأجوج أيضاً وسلاّم !
فراضيعتي ما بين غول مصاحبي وغربتي قدامي ، أهلكي اسلام !

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! ها ! ها ! ها !

المنظر الثاني

في طريق البيداء بأرض سوداء كريهة الرائحة بعد أن ساروا ستة وعشرين يوماً ، وقد مرض ابن حرب في الطريق بداء المفاصل .

ابن حرب — هات الحمل يا سلام ، أفقدني ، ان هذه الرائحة الكريهة تذكرني بحمارة مسكوبه

سلاّم — أرأيت مبلغ وفائي لك ومبلغ مخاوفك السخيفة

ابن حرب — نعم بك من رفيق ، ويا حبذا لو وجدت لك حيلة في امري ، فلا انا قادر على السير ولا على الجلوس ولا على الرقاد ، لقد نال مني داء المفاصل

سلام — لم يبق لك الا ان تطير

ابن حرب — لقد اخلص لنا الأدلاء ، فلولا رائحة الحمل هذا لوهبت روحي ، ومن اين هذه الرائحة الخبيثة لهذه الأرض السوداء الكريهة ، كأنها عدو لنا بالمرصاد ، بعد

سيرنا ستة وعشرين يوماً

سلام ـ عليك ان تحتمل يا صاحبي فأمامنا جنة وعذاب الأدلاء

ابن حرب ـ لم يسمع عن أحد فارق الجحيم الى الجنة

سلام ـ الا تعلم اننا لم نصل الى هنا سالمين الا بعد ترجمة من حاكم إلى آخر فلولا كتاب حاكم أرمينية الى حاكم اقليم السرير ، ولولا كتاب هذا الى امير إقليم الآن ، ولولا كتاب هذا الأمير الى فيلانشامبو ولولا كتاب فيلانشامبو الى ملك الطرز لما كنا في عالم الأحياء

ابن حرب ـ ومن قال اني في عالم الأحياء ، علي بالخل يا سلام ، انقذني من هذه الرائحة النتنة

سلام ـ يقول الغضنفر كبير الأدلاء إن امامنا مسير عشرة ايام في هذه الأرض السوداء

ابن حرب (مقاطعا مهددا) يا خير اسود

سلام ـ ثم نصل الى اقليم فيه مدن خربها شعب يأجوج ومأجوج ، ثم ننتهي الى السور المنشود ، ويقول الغضنفر إنه لا بدّ لنا من السير سبعة وعشرين يوماً قبل ان نبلغ غايتنا

ابن حرب (باكيا) ـ هذا ما توقعته ، فأدفني يا سلام هنا وسعي زجاجة خل ، اقرأ الفاتحة صورة على روحي

سلام ـ لا تيأس يا ابن حرب ، وقد احتفظت لهذا البغل لك ، وسأرعاك بقية الطريق !

ابن حرب ـ خلني يا صاحبي في هذا الجحيم ، فلا أنتظر أفضل منه ، ولك أن تترك معي هذا البغل أيضاً ، فقد يفهمني .

سلام ـ يؤكد الغضنفر أننا سنجد بعد ذلك الاقليم حصوناً تسكنها أمة مسلمة تتكلم العربية والفارسية ، ولكنها لم تسمع بخليفة المسلمين قط .

ابن حرب ـ لا بدّ أنها قد كفرت الآن . علي بالخل يا سلام علي بالخل .

المنظر الثالث

في قصر ملك الخزر في أسية خريدة من الناس تقدمها ومعه استدعاه رجال البعثة جلس يحادثهم ثم عرض عليهم أعجوبة لم يسمع بها من قبل .

ملك الخزر — وما هذا الوادي الذي تتحدث عنه يا سلام .

سلام — وصلنا في آخر مراحلنا يا سيدي قبل المجيء إلى ملككم السعيد إلى جبل لا نبات عليه ، يقطعه واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً وفي الوادي باب ضخم جداً من الحديد والنحاس ، طوله قفل طوله سبعة أذرع وارتفاعه خمسة ، وفوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس الجبل . وكان رئيس تلك الحصون الاسلامية يركب في كل جمعة ومعه عشرة فرسان ، مع كل منهم بزورة من حديد ، فيجيئون إلى الباب ويضربون القفل ضربات كثيرة ليسمع من يسكنون خلفه ، فيعلموا أن للباب حفظة ، وليتأكد الرئيس وأعوانه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً .

ملك الخزر — يظهر أنك تتحدث عن الحصون الواقعة في جبال القوقاز على مقربة من دربند ، في إقليم داغستان ، غربي بحر الخزر .

الفضفضر — (كبير الادلاء) هذا هو الصواب يا مولاي ، وقد رأى هؤلاء السادة الأعاجيب التي اشتهوا رؤيتها وعاينوا ذلك السور العظيم . وبحمد الله لم يبلغوا ملككم السعيد إلا وقد استردوا مافيهم وأخص بالذكر السيد ابن حرب الذي كان عليلاً متهوكاً في الطريق ، وكذلك بغالنا وصلت سالمة .

ملك الخزر — نحمد الله على سلامتكم ومافيكم . ليس لدينا أيها السادة من الغرائب ما قد يشوقكم . ولكننا اصطدنا اليوم سمكة عظيمة جداً جذبناها بالحبال ورفعناها إلى هنا . وهي خلف هذا الستار ، وسأريكم الآن فتأملوا .

(يرفع الستار فتبدو هذه السمكة العظيمة جداً على منصة خشبية كبيرة)

أصوات تعجب — الله أكبر ، الله أكبر ، تبارك وتعالى .

ابن حرب — أنظر يا سلام ، أنظر ها هي ذي السمكة تنتفض ، أنظر يا عمي ، أنا في وعي .

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر .

ابن حرب ـ جارية بيضاء جميلة جارية ، وسمنوا مثل السكة تخرج من أذن السكة الكبيرة ، أأنا في وعي .

أصوات تعجب ـ سبحان الخلاّق العظيم .

(جلبة مستمرة لا تطفي الهرار) .

ابن حرب ـ أأنا في وعي يا سلام !

سلاّم ـ ورأس الخليفة لا أعرف إذا كنت أنت حالماً يقظاً ، فلا تسألني هنك .

أصوات تعجب ـ سبحان خالق المعجزات

ابن حرب ـ يظهر يا سلام أننا مخمورون وقد نال منا ذلك الشراب .

سلام ـ وأية خمر يا صاحبي ـ ولو كانت رحيقاً مختوماً ـ يمكن أن تبدع هذا المنظر الرائع .

ملك الطرز ـ هذا كل ما عندنا أيها السادة ، فتطلعوا نيأه الى خليفة المسلمين حفظه الله ، لعله يسر به ، وقد يتفاءل بزيارته إيانا ليرى ما رأيتم .

الغضنفر ـ هذه يا مولاي أعجوبة الأوائل والأواخر ، ولقد طوّفت بأقطار كثيرة فما رأيت مثلها .

سلاّم ـ إننا لمشدوهون يا مولاي مما نرى .

(أصوات خلفية : الله أكبر تبارك وتعالى)

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، انهما تبتسم الي ، أني أراك هنا يا ابن عمي حتى يحضر مولاي الخليفة . لقد استعدت قوتي .

سلام ـ إن ضيافتنا تنتهي اليوم ، فمحال بقاؤك .

ابن حرب ـ سأبقى معها في أذن السكة .

[النهاية]